

المدرسة المعرفية

Cognitivism

نشأتها :

بدأ علم جديد في الظهور وذلك نتيجة للمناظرات بين طريقة الإنسان في معالجة المعلومات وطريقة الآلات وجهاز الكمبيوتر، وقد أدى هذا التناظر إلى ظهور علم النفس المعرفي كنموذج مبسط ومشهور لدراسة العقل على يد مؤسسه : جان بياجيه. فقد اعترض الكثير من علماء النفس على تحديد مجال البحث في المثير والاستجابة لأن السلوك الإنساني ليس مجرد استجابة بسيطة للمنبهات البيئية. وإنما هناك الكثير من العمليات المعرفية العقلية التي تتوسط المنبه والاستجابة .

و يعدّ بياجيه (1896 – 1980) العالم السويسري المختص في البيولوجيا، هو أول مؤسس هذا الاتجاه ، حيث حول اهتماماته إلى دراسة تطور التفكير عند الأطفال، حيث اهتم بمحاولة فهم العمليات العقلية عند الطفل وعلى المتغيرات التي تؤثر في تطور هذه العمليات.

و يرى بياجيه أن الطفل في الأساس لا يولد مبرمجاً جاهزاً، كما أنه ليس خاضعاً للبيئة بشكل كلي، بل يتفاعل معها بحيث تعمل البيئة على تشكيله ويعمل هو على تشكيلها. أي أن الطفل مشارك نشط في تطور نفسه وليس كائنًا حياً سلبياً تعمل البيئة على تشكيله، فالتفاعل وفرص التعلم النشط أمور حيوية في تطوره.

و من أهم رواد هذه المدرسة كوفكا و كوهلرو وبرونر و آرون بيك و ألبرت أليس

المفاهيم الرئيسية للنظرية المعرفية :

تتضمن المفاهيم الرئيسية للنظرية المعرفية، عنصرين رئيسيين هما :

-البنية المعرفية (cognitive structure) ، والوظائف الذهنية (fonctions lesmentales) ، إن توضيح هذين العاملين يسهم في فهم التطور المعرفي من وجهة نظر بياجيه .

أولاً-البنية المعرفية:

يعتبر مفهوم البنية المعرفية (أو البنية العقلية) جوهر نظرية جان بياجيه، وهي عبارة عن بنيات افتراضية تتكون داخل العقل أثناء تطور الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد، ويمكن تشبيهها بقوالب فارغة، تتشكل عندما يقوم الطفل بملئها بموجودات هي عبارة عن تفاعلات وخبرات ومعارف، وأنها تنمو وتتطور مع العمر عن طريق التفاعل مع الخبرات والمواقف السابقة، وأن الطفل كلما نما وتطور وتفاعل مع المواقف والخبرات أدى ذلك إلى تغير في حالة البنية المعرفية .

ثانياً- الوظائف الذهنية (الوظائف العقلية) :

يقصد بها تلك العمليات التي يستخدمها الطفل في تفاعله مع متغيرات البيئة وعناصرها. يركز بياجيه على جانبها الفطري والوراثي وثباتها النسبي، فلا تتحول ولكنها تتطور وتزداد كفاءتها عن طريق التنشئة الاجتماعية، أو النظم التربوية المختلفة التي تسهم في صقلها وتنوعها وتعميقها. و من خصائص الوظائف الذهنية أنها موجودة لكل طفل طبيعي، سواء استخدمها في معالجات متغيرات البيئة أو لم يستخدمها.

النمو المعرفي عند جان بياجيه :

إن بناء وتطوير البنيات المعرفية هو ما يسمى بالنمو العقلي أو المعرفي: والنمو المعرفي ما هو في الحقيقة إلا تغير في هذه الأبنية المعرفية. وهو في نظر بياجيه: سلسلة من عمليات اختلال التوازن واستعادة التوازن أثناء التفاعل مع البيئة. يحدث النمو المعرفي عندما يواجه الطفل موقفاً يؤدي إلى اختلال التوازن عنده بين ما لديه من مقدرات واستراتيجيات، وما يتطلبه الموقف المواجه، وهنا يضطر الطفل إلى تطوير ما لديه وإعادة تنظيم الموقف بما يتناسب والعناصر المستجدة عليه (أي بناء بنية معرفية جديدة).

تفسير بياجيه للذكاء :

يفسر بياجيه الذكاء على أنه نوع من التوازن تسعى إليه كل التراكيب العقلية، أي تحقيق الاتزان بين العمليات العقلية المتفاعلة داخل الإنسان (الملائمة)، والظروف الحسية والاجتماعية من خارجه (التمثل). ونظراً لأن المؤثرات البيئية المحيطة بالإنسان في تغير مستمر، فإن تفاعلها مع العمليات العقلية المتفاعلة في داخل الإنسان يبقى في تغير مستمر، وهذا يعني أن عملية إحداث التوازن عملية ديناميكية مستمرة لا تتحقق تماماً أبداً .

المخططات العقلية أو الاخطوطات أو السكيمات schema:

وهي عبارة عن تكوين عقلي افتراضي يسمح بتصنيف وتنظيم المعلومات الجديدة، وهي عبارة عن طريقة أو أسلوب ينظر الطفل بها إلى العالم الخارجي، أو هي طريقة يتمثل بها الطفل العالم بصورة عقلية، والأخطوطات هي نمط من الأفعال أو التفكير يتم بنائه أو تكوينه عن طريق التكرار في مواقف مشابهة، وكل طفل ينمي أخطوطات خاصة به تتضمن المعلومات التي حصل عليها من الخارج، ولكي نفهم الاخطوطات، إليك المثال التالي :

-أخطوطة المدرسة: معلم، سبورة، طاولة، محفظة، دروس، فناء المدرسة، كراسي، مدير المدرسة، تلاميذ، مطعم..

-أخطوطة المطار: طائرة، مدرج، قاعة الانتظار، مسافرين، مضيفات، تذكرة السفر ...

تعتمد الأخطوطات التي تتكون في المراحل العقلية المعرفية المختلفة على سابقتها التي تكونت خلال المراحل السابقة.

مراحل النمو المعرفي (التطور الفكري) عند بياجيه :

يرى بياجيه أن التراكيب أو الأبنية العقلية لدى الطفل والمميزة لذكائه تمر في أربع مراحل متتالية تعتبر كل مرحلة منها مسئولة عن نوع معين من أنواع التفكير وهذه المراحل هي :

أولاً: المرحلة الحسحركية: (من الميلاد إلى سنتين)

تمتد هذه المرحلة من الولادة وحتى نهاية السنة الثانية من العمر، وفيها يتكون - برأي بياجيه - بدايات جمع التركيب أو الأبنية المعرفية بشكل جزئي أو كلي، و ينصب اهتمام الطفل خلال هذه المرحلة على اكتشاف الأشياء، فمثلاً يتعلم طول المسافة حين يمد يده لالتقاط شيء ما، كما يتعلم ما يحدث عندما يدفع جسماً أمامه أو يلمس شيئاً بارداً أو ساخناً. تعتمد هذه المرحلة خاصة على المنعكسات الفطرية .

ثانياً: مرحلة ما قبل العمليات العقلية: (من 2 – 7 سنوات)

يفكر الطفل في هذه المرحلة تفكيراً غير منطقي، فإذا أعطيناه مشكلة حسية فإنه يحاول حلها من خلال التجربة والخطأ، أي أنه يفكر فيما يراه ويحسه، وهذا يوقعه في الخطأ في المواقف المتصلة بالعدد والحجم والوزن بوجه خاص لاعتماده على الحواس " فمثلاً: إذا وضعنا كمية من الماء في إناء واسع القاعدة ثم عرضناه على طفل هذه المرحلة، ثم أفرغنا الماء نفسه في إناء طويل ضيق القاعدة، فإن الطفل يعتقد أن كمية الماء في الإناء الطويل أكثر من الكمية التي كانت في الإناء العريض. (أي أن الطفل لا يدرك أن الكمية (الكتلة) لجسم ما لا تتغير عندما يتغير الشكل أو عند تقسيمها إلى أجزاء، لذلك فإن البعض يطلق على هذه المرحلة اسم " مرحلة ما قبل التفكير المنطقي .

ثالثاً: مرحلة العمليات الحسية أو التفكير المادي: (من 7 سنوات – 12 سنة)

طفل هذه المرحلة يصبح قادراً على إجراء عمليات التصنيف البسيطة كتصنيف مجموعة أشياء على أساس بعدين كاللون والشكل، وإجراء العمليات الرياضية البسيطة كالجمع والطرح والضرب والقسمة، كما يبدأ في تكوين مفهوم الزمن : الماضي والحاضر والمستقبل ، فطفل هذه المرحلة يجد صعوبات في: القدرة على الاستدلال اللفظي المجرد، وضعف في القدرة على اكتشاف المعادلات الرياضية.

رابعاً: مرحلة العمليات العقلية المجردة (من 12- 15 سنة)

تمتد هذه المرحلة من التفكير ما بين الثانية عشر والخامسة عشرة من العمر، إلا أن استخدام هذا النوع من التفكير يستمر إلى نهاية العمر، هي مرحلة يظهر فيها تركيب جديد، وتقود إلى مستوى عالٍ من التوازن يميزه قدرة الطفل على التعامل مع جميع الأشياء والأحداث، وممارسة مهارات التفكير الاستدلالي.